من الطبع فان علم الآخرة غامض يعسر والتوصل الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال
متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم
محمود في الشرع وكذلك الحكمة فان الله تع اثنى عليها قال الله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وقال النبي عم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة
عنه والى ماذا نقل واحترز عن الاغترار بتلبيسات العلماء فان شرهم اعظم على الدين من
شر الشيطان اذ الشيطان بواسطتهم يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما
سئل رسول الله صلعم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم العلماء
السوء وكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث
وقد صح قول رسول الله بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل
ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي
وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون
بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها
ولذلك قال الثوري اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه
بل السبب في اقبال الخلق على هذه العلوم ثم ان الخلافة بعد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين
افضت الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى
الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد
بقي من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب
على سمت علماء السلف وكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح
في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة و

والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك
الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا
اليهم وطلبوا الولايات والصلات فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخلو
عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد
ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا الاقلون من علماء
الدين وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة
اليه في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات
الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة و
المجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام وسموه علم التوحيد واصول الدين
واكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في
المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة
كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا
على خلق الله تع ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات
الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه
وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان
واحمد وغيرهم واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات وهم
مستمرون عليه الى الان وليس ندري ما الذي قدر الله تع فيما بعدنا من الاعصار ولو مالت
نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر لمالوا ايضا معهم ولم

Copyright © King Saud University